خمس مقدمات مجهولة لطه حسين

نبيل فرج
كاتب وناقد

على الرغم من أن طه حسين أكان يعيش فى قلب القاهرة ، وينشر أدبه فى مطابعها ودور نشرها ، فلا يزال الكثير من هذا الإنتاج ضائعاً ، سواء مقالات لا يعرف أحد عنها شيئًا ، ام كتباً نفدت طبعاتها من عشرات السنين ، دون أن تحفل مؤسسات النشر بإعادة طبعها .

وكتاب «كتب ومؤلفون» لشكرى فيصل (دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٨٠) ، الذى تضمن المقدمات التى كتبها طه حسين ، لاتزيد نسبة ما جمع منها فى تقديرى عن ٧٥٪ من هذه المقدمات .

وهذه النسبة لا تتجاوز ٦٢٪ من المقدمات التى ذكرت فى ببليوجرافيا «أعلام الأدب المعاصر فى مصر: طه حسين» لحمدى السكوت ومارسدن جونز الصادر عن مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية فى ١٩٧٥ ، وإن لم يرد فى هذه الببليوجرافيا من مقدمات طه حسين التى يطالعها القراء على هذه الصفحات سوى ثلاث مقدمات فقط ، أى نسبة ٦٠٪ فقط .

ولعل شكرى فيصل تعمد إغفال هذه النسبة التى تصل إلى الربع ظنا منه أنها كتبت لأسماء لا ترقى إلى مستوى الأسماء التى وضعها فى الكتاب ، أو ظنا منه أن مقدمات طه حسين فى هذه الكتب لا تضيف شيئا كثيرا إلى ما جمعه منها !

ولقد كان من المقرر فى أوائل التسعينيات الماضية تلافى هذا النقص - أيًا كانت أسبابه أو مسوغاته - وذلك بإعداد كتاب آخر ، يجمع شتات هذه المقدمات كلها ، تشرف على طبعه أسرة طه حسين . غير أن وفاة محمد حسن الزيات ، عميد هذه الأسرة، قضى على هذا المشروع. ولا تزال هذه النسبة الناقصة من المقدمات الى اليوم فى حكم المفقودة .

ولا شك أن اتساع المجالات التى تحرك فيها طه حسين فى التعليم، والثقافة، والصحافة ، فضلًا عن المناصب الرفيعة التى تسنمها فى هذه المجالات، وفى الحياة السياسية ، كان وراء تعلق أجيال كاملة به ، ووراء تدافع المؤلفين والمحققين والمترجمين نحوه ، لإهدائه كتبهم المطبوعة للكتابة عنها ، أو للظفر من قلمه بمقدمات لكتبهم المخطوطة . وقد ظفر الكثير منهم بمقالات عن الكتب المنشورة التى أهديت إليه ، وظفر البعض الآخر بهذا الكم من المقدمات التى ينفرد بها طه حسين بين كتاب جيله، أو بين أعلام عصره .

ذلك أننا لو قارنا ما كتبه طه حسين من مقدمات بما كتبه أنداده مثل العقاد، أو هيكل، أو المازنى، أو أحمد أمين ، سنجد الفرق واضحاً جداً .

وطه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) ، بشخصيته وإمكاناته وخبراته الحية ، يعرف بعض هذه الكتب التى يقدمها أو يكتب عنها ، منذ أن انبثقت فى عقول كتابها ، أى قبل أن تكتب على الورق ، ثم يعرفها أو - على حد تعبيره - يسايرها كفصول متفرقة فى الصحافة ، قبل أن تجمع فى كتب .

وهذا يعنى أن طه حسين يعد بشكل أو بآخر شريكا فى تأليف هذه الكتب التى يقدمها ، بل وفى اختيار عناوينها أحيانا ، على نحو ما نرى فى مقدماته لكتب «فجر الإسلام» و «ضحى الإسلام» لأحمد أمين ، و «إحياء النحو» لإبراهيم مصطفى ، وغيرها .

ومن هنا تتسم هذه المقدمات بغلبة العنصر الذاتى ، أو ما يمكن أن نطلق عليه الترجمة الذاتية .

وفى الصفحات التالية نطالع نصوص خمس مقدمات غير معروفة لطه حسين ، لم يجمعها شكرى فيصل فى كتابه .

- المقدمة الأولى فى كتاب «الفكر العربى بين ماضيه وحاضره» للكاتب السورى سامى الكيالى ، وصدر فى القاهرة عن مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر فى ١٩٤٣ ، ويتحدث فيها طه حسين عن المؤلف، وسجاياه العربية ومعارفه، وحرصه على توطيد الصلات بين الأقطار العربية ، وعلى تقاربها فى الثقافة والفكر .

- المقدمة الثانية فى كتاب «٨٠ مليون امرأة معنا» للفنانة المصرية إنجى أفلاطون ، وصدر عن مطبوعات دار الفجر بالقاهرة فى ١٩٤٨ ، ويعرض فيها طه حسين لدور الرجال والنساء فى قضية تحرير المرأة ، مؤكداً أن حرية المرأة لا تتعارض البتة مع السنة الموروثة أو مع الآداب التقليدية ، مشيداً يسعى المرأة فى هذا المضمار ، وبعدم وقوفها إزاء قضيتها موقف المتفرج .

وطه حسين فى هذه المقدمة يساوى مساواة مطلقة بين الرجال والنساء ، ويبشر بدخول المرأة البرلمان ، وهو سرعان ما تحقق بعد ثورة ١٩٥٢ .

- والمقدمة الثالثة لكتاب «الحياة والشباب»، للكاتب اللبنانى واصف البارودى الذى صدر عن مطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر فى ١٩٤٩ ، وفيها يعبر طه حسين ، كما عبر المؤلف ، عن ثقافة العصر وحضارته فى علاقتها بالوطن والمواطنين من جهة . وعلاقتها من جهة مقابلة بالإنسان والإنسانية ، فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

- والمقدمة الرابعة لكتاب «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها»، للشاعر السودانى عبد الله الطيب، وصدر عن مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر فى ١٩٥٠ .

ويومئ طه حسين فى هذه المقدمة إلى المزاج العلمى الأدبى الذى يتناول به عبد الله الطيب موضوعه . ويتكشف فى هذه المقدمة مدى علم طه حسين بفنون الشعر العربى وبحوره وقوافيه، دون خوض فى التفاصيل .

- والمقدمة الخامسة لكتاب «صحافتنا بين الأمس واليوم»، للكاتب الصحفى جلال الدين الحمامصى، وقام بنشره وديع سعيد فى ١٩٥٧ .

ولهذه المقدمة قيمتها الأدبية والتاريخية؛ لأنها تعرض رأى طه حسين فى الصحافة، ولدورها فى تعميق الصلات على المستوى الوطنى والإنسانى ، فهى ثمرة من ثمار الحضارة ، وفى الوقت نفسه قوة من قواها الفعالة فى نشر هذه الحضارة ، لا تستطيع الإنسانية أن تستغنى عنها ، إذا أرادت أن تقف على ما يحدث فى أوطانها وفى أطراف الأرض .

على أن أول ما نلاحظه على هذه المقدمات، وعلى غيرها من مقدمات طه حسين التى كتبها بقلم الناقد التأثرى ، عنايته الفائقة بتعريف القراء بمؤلفيها ، فى سياق حديثه عن نفسه ، وتعريفه بالظروف التى التقى فيها معهم ، أو عرفه فيها هؤلاء الكتاب ، وذلك قبل أن يقدم الكتاب يحمل خاطفة تلخص مضمونه ، ينثر فى ثناياها أفكاره والتفاتات ذهنه عن موضوع الكتاب ، وعن الحقائق الأدبية المتصلة به ، وأهمها اعتبار طه حسين الكتابة عملا اجتماعيا .

ولا سبيل إلى فهم هذه الأفكار والالتفاتات والحقائق إلا فى ضوء نشأة طه حسين فى القرية والأزهر والجامعة الأهلية ، وما حصله من علم فى فرنسا ، وفى ضوء غاياته ، وقبل هذا وبعده فى ضوء المرحلة الثقافية التى عاشها ، فى قاعدتها العامة ، أو فى إطارها الأعلى .

وإذا كانت هناك عناصر مشتركة فى مقدمات هذه الكتب ، فهى احتفال طه حسين باللغة فى غير تقديس لها ، ويتمثل هذا الاحتفال فى تمسكه الدائم بصحتها، ونقائها، وسهولة أسلوبها .

وتحقيق هذه اللغة يتوقف على نوع الفكر الذى تعبر عنه ، كما يتوقف على اصطناع الأناة والرفق فى التعامل معها ، وليس التهاون والسرعة وعدم الاعتناء الذى لا يفضى إلا إلى الابتذال والإسفاف .

ويتجلى فى هذه المقدمات وعى طه حسين بالارتباط بين الإبداع والعصر . هذا الارتباط الذى يجعل الابداع مرآة المجتمع ، بل الخلاصة الفنية للحياة من حوله ، فى الزمان والمكان ، بما فيها الحياة العقلية والسياسية .

كما يتجلى فى هذه المقدمات إيمان طه حسين الوطيد بالحرية الفكرية وبحقوق الإنسان ، وإعلائه من قيمة التجديد فى الثقافة العربية المعاصرة مع الحرص على القديم منبع كل تجديد ، أو بتعبير آخر إعلاء التجديد مع إعلاء القديم .

ويأتى هذا الإيمان بضرورة دخول القديم فى صميم الجديد من أننا كثيراً ما نجد أنفسنا فى الأبنية والأعمال القديمة ، أكثرها نجدها فى الإبداع المعاصر .

وإيمان طه حسين بالتراث لا يقتصر على التراث القومى ، ولكنه يشمل التراث الأجنبى والثقافات الأجنبية .

وأدب طه حسين ونقده يفيضان بالدعوة إلى الإطلاع على هذه الآداب والتفاعل معها ؛ لأن حياتنا متصلة بحياة شعوبها. وهذا موضوع يستحق أن يفرد له عرضاً آخر لمقدمات طه حسين التى تتبنى هذه الدعوة.

وفيما يلى نص المقدمات الخمس :

الذكرى ٣٠ سنة على رحيل طه حسين

طه حسين فى الجامعة المصرية

وزارة الثقافة
المركز القومى
للفنون التشكيلية
Ministry of Culture
National Center for
fine Arts

متحف طه حسين
[رامتان]

(١)

الفكر العربى
بين ماضيه وحاضره

فى شهر إبريل من سنة ١٩٢٦ - إن صدقتنى الذاكرة - كنت أسعى مع زوجى مقبلين إلى مكتب البريد فى حلب أو منصرفين عنه لا أدرى ، وإذا بشاب يعبر إلينا الشارع عدواً حتى إذا بلغنا سأل ثم حيا ثم عرف نفسه ، وإذا هو سامى الكيالى .

رأى صورتى فى بعض الصحف وقرأ ما كنت أنشر من الكتب والمقالات ، فلما رآنى فى وطنه لم يستطع إلا أن يكون عربيا كريما . فلقى ضيفه أحسن لقاء ، وصاحبه خير مصاحبة ، ولم يفارقه حتى ودعه فى القطار حين أزمع العودة إلى بيروت . وكان سامى الكيالى حفيا بضيفه كما تعود العرب أن يكونوا دائما ، ولكنه كان مع ذلك حفيا بمدينته يحبها أشد الحب ويعجب بها أعظم الإعجاب ويريد أن يظهر ضيفه على كل ما فيها من المعاهد الحديثة والمعالم القديمة . وكان فى أثناء هذا كله يتحدث عن علم ، ويتحدث عن حب ، ويتحدث عن إعجاب بالماضى وعن ثقة بالمستقبل ، فاستقرت منه فى نفسى صورة محببة إلى أثيرة عندى . ولكنى لم أكد أتحدث إليه ساعة أو بعض ساعة حتى عرفت فيه خصلة أخرى هى التى وصلت ما بيننا من المودة وعطفت قلب كل منا على صاحبه. فقد كان مؤثرا للتجديد ، حريصا مع ذلك على القديم ، معتدلًا فى كلا الأمرين اعتدالا يلائم ما اخترت لنفسى من مذهب ومارسمت لها من منهج . وكان على ذلك شديد التتبع لما يكتب فى مصر ، يقرؤه مستقصيا ، ويفكر فيه ناقدا شديد التتبع لما يكتب فى الشرق العربى كله ، كثير الموازنة بين ما يقرأ . وكان يتحدث إلى عن كتابنا وشعرائنا ، وعما كان يثور بيننا من الخصومة فى الأدب والسياسة ، فإذا هو يعلم من ذلك مثل ما أعلم . ثم يتحدث إلى عن كتاب الشرق العربى وشعرائه ، وما كان يثور بينهم من جدل أو خلاف ، فإذا هو يعلم من ذلك أكثر مما أعلم . وعدت إلى مصر والصورة التى استقرت فى نفسى من هذا الأديب هى خير ما عدت به من هذا القطر العزيز .ثم اتصلت بيننا المودة فالتقينا وافترقنا ، وكتب كل منا إلى صاحبه، وما هى إلا أن يصبح سامى الكيالى كاتبا معروفا وناشرا ممتازا بفضل هذه المجلة التى أصدرها «مجلة الحديث» التى جعلها ديوانا دقيقا للتفكير العربى منذ أعقاب الحرب الماضية إلى الآن. ولم تقف الصداقة على ما استؤنف بينه وبينى من الود ، ولكنه كان يتلقى أدباءنا المصريين بمثل ما تلقانى به من الكرم ، وكان يزور مصر فشغف بلقائه، والاستماع منه، والتحدث إليه . وإذا هو صديق لأدبائنا جميعا يعرف أكثرهم معرفة قريبة جدا، ويعرف بعضهم من آثاره المختلفة ، وإذا هو يعرف من حياتنا الأدبية دقائقها وأسرارها ويتحدث عنها حديث المستقصى لما ظهر منها وما بطن . وإذا تحدث الناس عنه الآن فانما يتحدثون عن كاتب وقف جهده - أو وقف صفوة جهده - على الاستقصاء والاستقراء ومراقبة التيارات الفكرية فى الشرق العربى وتسجيل الاتجاهات التى تتجهها هـذه التيارات . وهذه الفصول التى يسعدنى أن أقدمها إلى القراء فى مصر ليست إلا مظهراً من

مظاهر هذه العناية الخاصة ، وهى لن تعرف سامى الكيالى إلى قرائنا لأنهم يعرفونه من قبل أن تذاع فيهم ، ولن تحببه إليهم لأنهم يحبونه منذ قرأوا آثاره المختلفة فيما نشر من كتب وما أذاع من فصول . وهذه الكلمة التى أقدم بها هذه الفصول ليست فى حقيقة الأمر إلا تحية صادقة من كاتب مصرى إلى أديب صديق الأدباء المصريين جميعا . وأنا أقدم إليه هذه التحية لأن كتابه هذا يطبع وينشر فى بلدنا ، فهى أشبه بأن تكون ترحيبا به فى زيارة تفضل علينا بها من بعيد .

ويزيدنى اغتباطا بظهور هذا الكتاب فى مصر الآن أنه يظهر فى نفس الوقت الذى يشتد فيه الاتصال بين الأقطار العربية ، وتقوى فيه فكرة التعاون والتقارب فى الثقافة والتفكير ، ونجنى فيه ثماراً طالما جاهدنا فى سبيلها ، وطالما تمنينا أن يتاح لنا اجتناؤها فى يوم من الأيام . فقد كان سامى الكيالى يُتهم كما كنت أنا أيضا أُتهم بالإغراق فى التجديد ، والانحراف عن العروبة وعما ينبغى لأهلها من التضامن والتعاون . والله يشهد ما أحب العروبة أحد كما أحببناها ، ولا حرص على قوة العروبة ونهضتها أحد كما حرصنا عليها ، ولا جاهد فى ذات العروبة أحد بالقلم واللسان كما جاهدنا نحن فى ذاتها . ولكننا كنا وما زلنا نكره التكثر والتزيد ، ونمضى فى طريقنا غير حافلين بما نلقى من عقاب ، ولا آبهين إلا بأن ترضى ضمائرنا وتطمئن قلوبنا إلى ما نحن ماضون فيه أو مقدمون عليه .

وقد أراد الله أن تنجح جهودنا وجهود أصدقائنا الذين عملوا فى توجيه هذه النهضة الفكرية المعاصرة فأصبح التجديد الذى كنا نلام فيه قليلا لا يرضى طموح الشباب ولا يرضينا ، وأصبح التعاون الثقافى والتضامن فى الحياة العقلية هو الأساس الصالح المتين لكل ما نأمله من تقارب فى منافع السياسة والاقتصاد ، وأصبحت الطريق ممهدة للذين يريدون أن يسلكوها ، وما أشك فى أنهم كثيرون ، وما أشك فى أننا سنكون بينهم ، بل فى طليعتهم ، ما امتدت لنا أسباب الحياة والنشاط .

طه حسين

الذكرى ٢٠ سنة على رحيل طه حسين
طه حسين بجامعة ليون بفرنسا

متحف طه حسين
[رامتان]
وزارة الثقافة
المركز القومي
للفنون التشكيلية
Ministry of Culture
National Center for
fine Arts

(٢)

٨٠ مليون امرأة معنا

لو لم يكن فى هذه الرسالة إلا أنها تصور تنبه المرأة المصرية إلى أن لها حقوقا يجب أن ترد إليها وكرامة يجب أن تحفظ عليها ، لكانت خليقة أن نقرأها راضين عنها مغتبطين بها، راجين أن يكون لها ما بعدها من شيوع الإيمان بحقوق المرأة المصرية وكرامتها بين النساء المصريات جميعا وبين الرجال المصريين جميعا أيضا . وقد سبق الرجال إلى الجد فى تحرير المرأة المصرية ، فدعوا إلى هذا التحرير ما دعوا وجاهدوا، واحتملوا فى جهادهم كثيرا مما يكرهون . ولكن المرأة المصرية لم تكد تظفر ببعض حقها اليسير حتى ضاق كثير من الرجال بما أتيح لها من حرية ضئيلة متواضعة ؛ وأشفقوا أن تكون لهذه الحرية عواقب لا يحمدها المصريون ، وإذا هم يتنكرون لهذه الحرية شيئًا فشيئًا حتى يدفع فريق منهم إلى مقاومتها ومحاولة التضييق عليها . ولكن أخص ما تمتاز به الحرية أنها لا تكاد تظفر بالقليل حتى تطمع فى الكثير ، ولا تكاد تبلغ طورا من الرقى حتى تطمع فى الكثير ، ولا تكاد تبلغ طورا من الرقى حتى تطمح إلى طور أبعد منه مدى وأرفع منه منزلة . وهى لا تحب الرجوع إلى الوراء ولا تحب الوقوف الذى لا حركة فيه ، وإنما هى ماضية أبدا إلى الأمام منتصرة أبدا على ما يقوم فى سبيلها من المصاعب والعقبات . وقد ظفرت المرأة المصرية بحرية التعليم ، وظفرت بحرية القول ، وظفرت بحرية الاجتماع ، دون أن يحدث ظفرها بهذه الحريات اختلاطا او اضطرابا فى الحياة الاجتماعية . والمرأة المصرية حين تطالب بما تطالب به من الحرية لا تخالف سنة موروثة ولا شيئا من آدابنا التقليدية المحفوظة ، وإنما تطالب بإحياء هذه السنة ورعاية هذه الآداب ، فقد كانت الأمة الإسلامية فى حياتها الأولى تبغض الظلم أشد البغض وتنكر العسف أشد الإنكار وتعرف للمرأة من الحقوق مثل ما كانت تعرف للرجال فى تلك العصور . وكان الخلفاء الراشدون يستشيرون الرجال ويعلنون ذلك فى غير تردد ولا تحفظ . وكانت المرأة فى تلك العصور تقول وتعمل فى الأمور العامة كما كان الرجال يقولون ويعملون . فعبد الرحمن بن عوف يشاور النساء فى اختيار الخليفة كما يشاور الرجال . وعثمان بن عفان يشاور نسوة النبى صلعم فى أمر الفتنة ويذيع رأيهن فى موسم الحج بعد أن قبله وعمل به . ولو عرف المسلمون فى تلك العصور النظم البرلمانية لما حرموا المرأة شيئا من حقها السياسى . فالمطالبة بالحقوق السياسية للمرأة فى هذا العصر ليست بدعا ولا شيئا يشبه البدع، وإنما هو إحياء للسنة الموروثة وإصلاح لحياة النساء كما أصلحت حياة الرجال . والذين يزعمون أن الرجل المصرى أقدر على احتمال أعباء الأمور العامة من المرأة المصرية يسرفون على أنفسهم إسرافا شديداً .

فالمثقفات من النساء لسن أقل كفاية من الرجال المثقفين ، والكثرة الجاهلة من النساء لسن أشد غباء من الكثرة الجاهلة من الرجال . وإنما المصريون جميعًا سواء فى مواجهة الحياة ومشكلاتها ، وإذا نبهوا تنبهوا وإذا أغفلوا غفلوا . لا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة ولا بين الفتى والفتاة ، فإذا كان فى إشاعة الحرية

السياسية خير، فيجب أن يكون هذا الخير عاما شاملا لا يمتاز به فريق من المصريين دون فريق ، وإذا كان فى إذاعتها شر، فيجب أن يكون هذا الشر عاما شاملًا لا يمتحن به فريق من المصريين دون فريق. وهذه أوليات من المحزن أن نحتاج إلى تقريرها ، والحمد لله على أن كثيرا من الرجال ما زالوا يؤمنون بها، وما زال ايمانهم بها يزداد من يوم إلى يوم ، فهم يطالبون بأن ترد إلى المرأة المصرية حقوقها السياسية ويعرضون ذلك على البرلمان .

والحمد لله على أن المرأة المصرية قد أصبحت لا تكتفى بأن يسعى الرجال لها فى حقها؛ وإنما تسعى هى فى هذا الحق ملحة جادة مصممة على أن تظفر بما تزيد .

والرقى إذا أتيح لشعب من الشعوب فهو كالحرية لا يتراجع ولا يقف، وإنما يمضى أمامه مطردًا لا يلوى على شيء حتى يبلغ الغاية ، إن كانت للرقى غاية ينتهى إليها . وقد أتيح للفتاة المصرية أن تختلف إلى الجامعة كما يختلف إليها الفتى ، ولست أشك فى أن طبيعة الأشياء ستتيح للنساء المصريات ان يختلفن إلى البرلمان كما يختلف الرجال . وكل ما أتمناه هو أن يقدر النساء والرجال جميعا أن الحقوق السياسية والبرلمان والمشاركة فى الحياة العامة؛ إنما هى وسائل لا يكتفى بها ، وإنما يستعان بها على تحقيق الغاية الإنسانية العليا : وهى تنمية الحضارة وتحرير الإنسان من الخوف والظلم والاستعباد .

طه حسين

(٣)

الحياة والشباب

هذا الكتاب شارك فى تأليفه القلب والعقل جميعًا . بث فيه القلب قوة العاطفة ودقة الحس وصدق الشعور ، وأشاع فيه العقل صواب الرأى ونفاذ البصيرة وبعد النظر وحسن الاستقصاء . لم يكتبه صاحبه لأنه أراد أن يكون له كتاب . كما أن لغيره من المفكرين والمثقفين كتبا ، وإنما كتبه لأنه أحس حاجة ملحة إلى كتابته وضرورة ملزمة بتأليفه . وقد نشأ إحساسه بهذه الضرورة وتلك الحاجة من هذه العاطفة النبيلة الكريمة السامية التى يمتاز بها ذوى النفوس المتحضرة وهى عاطفة الحب والإخلاص للمواطنين . والمواطنون عند الأستاذ واصف البارودى ليسوا هم أبناء وطنه لبنان ، الذى تحصره حدوده الجغرافية والسياسية ، وإنما هم أبناء العالم العربى كله من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلنتى، أو إلى بحر الظلمات كما كان القدماء يقولون . وأكاد أعتقد أن المواطنين عند الأستاذ واصف البارودى ليسوا هم أبناء هذا العالم العربى وحدهم ، وإنما هم أبناء الإنسان فى أقطار الأرض كلها فليس الأستاذ واصف البارودى أثرا ولا مستأثرا لنفسه وبنى جنسه بالخير والعافية ، وإنما هو يحب أن تمتلئ الأرض خيرا كلها ، وأن يشيع فى الناس من الثقة والأمل ، ومن التضامن والتعاون والحب ، ما يجعل الحياة خليقة أن نرغب فيها، ونحرص عليها، ونتزيد منها .

والأستاذ واصف البارودى لا ينسى الماضى ، ولكنه لا يقصر جهده على الحاضر ، وإنما يفكر فى المستقبل ، ويكاد لا يفكر إلا فيه ؛ كأنه قد وطن نفسه على ما ينبغى أن يوطن الرجال نفوسهم عليه من أن الحياة دولة بين الأجيال ، تنقلها الأجيال الناشئة التى تستقبل الحياة عن الأجيال المولية التى تستدبر الحياة. ولكنه لا يحب أن يكون توارث الحياة عملا يسيرا سلبيا ، لا إيجاب فيه ، بحيث يلقى الآباء أعباءهم إلى الأبناء كما تلقوها عن آبائهم ، وبحيث يتلقى الأبناء هذه الأعباء عن آبائهم ليحفظوها بين أيديهم وديعة ينقلونها إلى أبنائهم كما هى ، وإنما يريد ألا ينقل جيل حياته إلى الجيل الذى يليه إلا بعد أن يرقيها، وينقيها، ويصفها ويضيف إليها من جهده وأمله ، ومن عقله وقلبه، ومن يقينه وإيمانه . وهو يريد أن تتلقى الأجيال الناشئة عن الأجيال المولية أعباءها محبة لها مغتبطة بها مزمعة أن تزيد جمالها جمالا وبهجتها بهجة ونقاءها نقاء .

وهكذا تتنقل الحضارة بين الأجيال ، يزيدها تتابع الأزمان ازدهارا وازدهاء ، حتى تبرأ من الظلمة ما استطاعت أمور الناس أن تبرأ من الظلمة ، حتى تأخذ من النور والإشراق أعظم ما تستطيع أمور الناس أن تأخذ من النور والاشراق ، فالشعور بالتبعة إذن هو الذى ألهم الكاتب ودفعه إلى الكتابة وحب النظراء على اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم هو الذى أثار قلب المؤلف وعقله إلى الاشتراك فى إنشاء هذه الفصول . وهو من أجل ذلك يتخذ الشباب موضوعا لهذا الكتاب ، يتحدث عنه ويسوق الحديث إليهم ، ولا يكاد يتحدث إلى الشيوخ والذين تقدمت بهم السن ، إلا بمقدار ما يذكرهم بتبعاتهم ، ويشعرهم بواجباتهم ، ويدعوهم إلى أن يحملوا الأمانة حق حملها ويؤدوها كأحسن ما ينبغى لها من الأداء .

والأستاذ واصف البارودى كما قلت دقيق الحس صادق الشعور نافذ البصيرة بعيد النظر وربما استجزت لنفسى أن أضيف إلى ذلك راجيا ألا أؤذيه ولا أسوءه ، أن فى مزاجه شيئا من حدة ، فهو يرفق فى حديثه ما وسعه الرفق ، ولكنه يعجز أحيانا عن أن يتقى العنف ، وخاصة إذا عرض ، وما أكثر ما يعرض ، لقصور الأجيال المعاصرة أو تقصيرها .

وللأستاذ واصف البارودى مذاهب طريفة فى تصوير ما يريد أن يصوره مما يضيق به صدره ، ومما يتصل به أمله ، فهو مثلا يفرق بين الحياة والمعيشة . فالحياة عنده تتصل بالنفس والقلب وبالعقل والذوق قبل كل شئ ، على حين تتصل المعيشة بهذه الحركات اليومية التى يشترك فيها الإنسان مع غيره من الحيوان . فالأكل والشرب والتماس القوت والحرص على ما يقوم الجسم معيشة ، والتفكير والذوق والاستمتاع بالأدب والفن والجمال على اختلاف أنحائه حياة . وليس يكفى عنده أن يعيش الناس بل يجب أن يحيوا . والذين يكتفون من دنياهم بالعيش ليسوا عنده أحياء وإنما هم عنده ما عند الشاعر أموات .

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

ثم هو يفرق بعد ذلك، أو من أجل ذلك بين الحضارة والمدنية . فالحضارة عنده تتصل بالحياة وهى صنوها، والمدنية عنده تتصل بالمعيشة ، وهى صنوها أيضا . فالذين يكتفون بالمعيشة ترضيهم المدنية التى تقومها المادة

وتصرفها . والذين يطمحون إلى الحياة تسمو نفوسهم بالطبع إلى الحضارة التى تتأثر بالروح والمثل العليا أكثر مما تتأثر بهذه الأعراض الطارئة التى تعرض وتزول. والمثل الأعلى عنده إذن هو الحياة وصنوها الذى هو الحضارة، وهو يكره من الأجيال المعاصرة إنها تستغنى بالمعيشة عن الحياة وتجتزئ عن الحضارة بالمدنية. وهو يعلم أنه لا يستطيع ولا يستطيع غيره استدراك ما فات وإصلاح ما فسد من أمر الأجيال التى تقدمت بها السن. ولكنه يحرص أشد الحرص وأقواه على أن يجنب الأجيال المقبلة ما تورطت فيه الأجيال المدبرة ويحرص أشد الحرص وأقواه على أن يكون الشباب خيراً من الشيوخ ، وعلى أن يكون الصبية خيرا من الشباب ، وعلى أن يكون الطفل الذى لم تتح له الحياة بعد خيرا من الصبية الذين ينشئون الآن . وهو من أجل هذا كله يكتب كتابه هذا للشباب وعن الشباب. والشباب عنده ليسوا هذه الأجيال التى ترى نشأتها الآن؛ وإنما هى الأجيال المقبلة كلها ففكرته إذن لا تكاد تنتقص ولا تكاد تحد ، كما أن تعاقب الأجيال لا يكاد ينتقص ولا يكاد يحد . وهو لذلك يفكر فى تقويم الشباب المعاصرين وإرشادهم ومعونتهم والنصح لهم . ولكنه يفكر فى الصبية أكثر مما يفكر فى الشباب وفى الأطفال الذين لم يولدوا بعد أكثر مما يفكر فى الصبية . وهو لذلك يحاول أن يرسم خططا فى التربية التى تنتفع بها الأجيال على تتابع العصور . فأفقه كما ترى ليس محدوداً بزمان ولا بمكان . كما أن آفاق العلم والفن لا تحد بالزمان ولا بالمكان . وفى هذا الكتاب صورة صادقة للفن والعلم جميعا ؛ لأنه كما قلت فى أول هذا الحديث وحى من شعور القلب وخلاصة من تفكير العقل . وليس مذهبه فى الجهل والجاهلية بأقل طرافة من مذهبه فى الحياة والمعيشة وفى الحضارة والمدنية . فالجهل عنده كما هو عند غيره من الناس تضاؤل الحظ من المعرفة ، ولكن الجاهلية عنده كما كانت عند القدماء هى البعد عن الحضارة والاستسلام للغرائز والأهواء وطغيان المادة . فالمعرفة قد تعصم من الجهل ولكنها قليلا ما تعصم من الجاهلية وما أكثر العلماء والمثقفين الجاهليين فى هذه الأيام التى تباهى بالمعرفة وازدهار العلوم . أولئك الذين يتبعون أهواءهم ويستجيبون لغرائزهم ولا يلائمون بين سيرتهم وما ينبغى للحياة المتحضرة من استلهام الروح . والسمو إلى المثل العليا والجد فى سبيل الكمال النفسى جاهليون ليسوا من الحياة ولا من الحضارة من شىء وإنما هم عبيد العيش والمدنية .

وليس أقل من هذا كله ، طرافة ، حديثه عن اليقظة الواعية واليقظة البلهاء ؛ وما أكثر ما فى هذا السفر النفيس من طرافة تسر العقل وتمتع القلب وترضى الشعور، ولعل الصدق والحب والإخلاص، وسداد الرأى هى أخص ما يمتاز به هذا السفر القيم الممتع من الخصال . وكم كنت أود أن تبرأ طبعته الأولى من بعض الخطأ المطبعى الذى يشينه شيئًا ما . وأكبر الظن أن طبع الكتاب فى مصر ومؤلفه مستقر فى وطنه لبنان هو مصدر هذا الخطأ القليل الضئيل .

أما بعد فهذا كتاب الشباب إليهم يتحدث ، وعنهم يتحدث ، فما أجدر الشباب أن يقرءوه ويفهموه ويذوقوه ، وما أجدر وزارات المعارف فى البلاد العربية أن تمكن الشباب من قراءته وفهمه وتذوقه . باريس سبتمبر سنة ١٩٤٩.

طه حسين

(٤)

المرشد

إلى فهم أشعار العرب وصناعتها

هذا كتاب ممتع إلى أبعد غايات الإمتاع ، لا أعرف أن مثله أتيح لنا فى هذا العصر الحديث .

ولست أقول هذا متكثرا أو غاليا ، أو مؤثرا إرضاء صاحبه ، وإنما أقوله عن ثقة وعن بينة . ويكفى أنى لم أكن أعرف الأستاذ المؤلف قبل أن يزورنى ذات يوم ، ويتحدث إلى فى كتابه هذا ، ويترك لى أياما لأظهر على بعض ما فيه . ثم لم أكد أقرأ منه فصولا ، حتى رأيت الرضى عنه ، والإعجاب به ، يفرضان على فرضا ، وحتى رأيتنى ألح على الأستاذ المؤلف فى أن ينشر كتابه ، وأن يكون نشره فى مصر ، وآخذ نفسى بتيسير العسير من أمر هذا النشر . وأشهد لقد كان الأستاذ المؤلف متحفظا متحرجا ، يتردد فى نشر كتابه ، حتى أقنعته بذلك بعد الحاح منى شديد . وقد يسر الله هذا النشر ، بفضل ما لقيت من حسن الاتسعداد ، وكريم الاستجابة ، من شركة الطبع والنشر لأسرة الحلبى ، فشكر الله لهذه الشركة حسن استعدادها ، وكريم استجابتها ، وما بذلت من جهد قيم لتطرف قراء العربية بهذا الكتاب الفذ، الذى كان الشعر العربى فى أشد الحاجة اليه .

وإنى لأسعد الناس حين أقدم إلى القراء صاحب هذا الكتاب الأستاذ عبد الله الطيب ، وهو شاب من أهل السودان ، يعلِّم الآن فى جامعة الخرطوم ، بعد أن أتم دراسته فى الجامعات الإنجليزية ، وأتقن الأدب العربى علما به ، وتصرفا فيه ، كأحسن ما يكون الإتقان . وألف هذا الكتاب باكورة رائعة لآثار كثيرة قيمة ممتعة إن شاء الله .

أنا سعيد حين أقدم إلى قراء العربية هذا الأديب البارع ، لمكانه من التجديد الخصب فى الدراسات الأدبية أولا ، ولأنه من إخواننا أهل الجنوب ثانيا .

وأنا سعيد بتقديم كتابه هذا إلى القراء ؛ لأنى إنما أقدم إليهم طرفة أدبية نادرة حقا ، لن ينقضى الإعجاب بها ، والرضى عنها ، لمجرد الفراغ من قراءتها ، ولكنها ستترك فى نفوس الذين سيقرءونها آثارا باقية ، وستدفع كثيراً منهم إلى الدرس والاستقصاء ، والمراجعة والمخاصمة . وخير الآثار عندى ، وعند كثير من الناس ، ما أثار القلق، وأغرى بالاستزادة من العلم ، ودفع إلى المناقشة وحسن الاختيار .

وأخص ما يعجبنى فى هذا الكتاب ، أنه لاءم بين المنهج الدقيق للدراسة العلمية الأدبية ، وبين الحرية الحرة التى يصطنعها الشعراء والكتاب ، حين ينشئون شعراً أو نثرًا ، فهذا الكتاب مزاج من العلم والأدب جميعا ، وهو دقيق مستقص حين يأخذ فى العلم ، كأحسن ما تكون الدقة والاستقصاء ، وحر مسترسل حين يأخذ فى الأدب ، كأحسن ما تكون الحرية والاسترسال . وهو من أجل ذلك يرضى الباحث الذى يلتزم فى البحث مناهج العلماء ، ويرضى الأديب الذى يرسل نفسه على سجيتها ، ويخلى بينها وبين ما تحب من المتاع الفنى ، لا تتقيد فى ذلك إلا بحسن الذوق ، وصفاء الطبع ، وجودة الاختيار .

وقد عرض الكاتب للشعر، فأتقن درس قوافيه وأوزانه، لا إتقان المقلد الذى يلتزم ما ورث عن القدماء، بل إتقان المجدد، الذى يحسن التصرف فى هذا التراث، لا يضيع منه شيئا، ولكنه لا يفنى فيه فناء، ثم أرسل نفسه على طبيعتها بعد ذلك، فحاول أن يستقصى ما يكون من صلة بين أنواع القوافى وألوان الوزن، وبين فنون الشعر التى تخضع للقوافى والأوزان، فأصاب الإصابة كلها فى كثير من المواضع، وأثار ما يدعو إلى الخصام والمجادلة فى مواضع أخرى، فهو لا يدع بحراً من بحور الشعر العربى إلا حاول أن يبين لك الفنون التى تليق بهذا البحر، أو التى يلائمها هذا البحر، وضرب لذلك الأمثال فى استقصاء بارع لهذا البحر، منذ كان العصر الجاهلى، إلى أن كان العصر نعيش فيه، وهو يعرض عليك من أجل ذلك ألوانا مختلفة مؤلفة من الشعر، فى العصور الأدبية المتباينة، ألوانا فى البحر الذى أقيمت عليه، وفى الموضوعات التى قيلت فيها، ولكنها تختلف بعد ذلك باختلاف قائليها، وتباين أمزجتهم، وتفاوت طبائعهم، وتقلبهم آخر الأمر بين التفوق والقصور، وما يكون بينهما من المنازل المتوسطة. والمؤلف يصنع هذا بالقياس إلى بحور العروض كلها. فكتابه مزدوج الإمتاع، فيه هذا الإمتاع العلمى الذى يأتى من اضطراد البحث على منهج واحد دقيق، وفيه هذا الإمتاع الأدبى، الذى يأتى من تنوع البحور والفنون الشعرية التى قيلت فيها، وتفاوت ما يعرض عليك من الشعر، فى مكانها من الجودة والرداءة.

والمؤلف لا يكتفى بهذا، ولكنه يدخل بينك وبين ما تقرأ من الشعر، دخول الأديب الناقد الذى يحكم ذوقه الخاص، فيرضيك غالبا، ويغيظك أحيانا، ويثير فى نفسك الشك أحيانا أخرى. وهو كذلك يملك عليك أمرك كله منذ أن تأخذ فى قراءة الكتاب، إلى أن تفرغ من هذه القراءة، فأنت متنبه لما تقرأ تنبها لا يعرض له الفتور فى أى لحظة من لحظات القراءة. وحسبك بهذا تفوقا وإتقانا.

وليس الكتاب قصيراً يقرأ فى ساعات، ولكنه طويل يحتاج إلى أيام كثيرة. وحسبك أن صفحاته تقارب تمام المائة الخامسة. وليس الكتاب هينا يقرأ فى أيسر الجهد، ويستعان به على قطع الوقت، ولكنه شديد الأسر، متين اللفظ، رصين الأسلوب، خصب الموضوع، قيم المعانى، يحتاج إلى أن تنفق فيه خير ما تملك من جهد ووقت وعناية، لتبلغ الغاية من الاستمتاع به. هو طرفة بأدق هذه الكلمة، وأوسعها وأعمقها. ولكنها طرفة لا تقدم إلى الفارغين، ولا إلى الذين يؤثرون الراحة واليسر، وإلى الذين يأخذون الأدب على أنه من لهو الحديث، وإنما تقدم إلى الذين يقدرون الحياة قدرها، ولا يحبون أن يضيعوا الوقت والجهد، ولا يحاولون أن يتخففوا من الحياة. ويأخذون الأدب على أنه جد. حلو مرّ. يمتع العقل، ويرضى القلب، ويصفى الذوق.

هؤلاء هم الذين سيقرءون هذا الكتاب، فيشاركوننى فى الرضى عنه، والإعجاب به، والثقة بأن له ما بعده. ويشاركوننى كذلك فى ترشيح هذا الكتاب لجائزة الدولة التى تقدمها الحكومة المصرية لخير ما يصدره الأدباء من كتب، إن جاز لك ولى أن نذُل لجنة هذه الجائزة على ما ينبغى أن تدرس من الكتب، لمنح هذه الجائزة.

أما بعد. فإنى أهنئ نفسى، وأهنئ قراء العربية بهذا الكتاب الرائع، وأهنئ أهل مصر والسودان بهذا الأديب الفذ، الذى ننتظر منه الكثير.

طه حسين

(٥)

صحافتنا بين الأمس واليوم

ما أكثر الأشياء التى تبتكرها الحضارة الإنسانية ثم لا تلبث أن تصبح ضرورة من الضرورات فى حياة الجماعات المتحضرة . لا تستقيم هذه الحياة بدونها . وأن الناس قد عاشوا وتحضروا وأترفوا فى حياتهم المتحضرة وعرفوا كثيراً من ألوان النعيم قبل أن تبتكر هذه الأشياء وقبل أن يعرف الناس منافعها ومضارها أحيانا . والصحافة إحدى هذه الأشياء التى ابتكرتها الحضارة الإنسانية ذات يوم على نحو ساذج يسير، ثم لم تكد تحس منافعها حتى أقبلت عليها فقوتها ونمتها وافتنت فى تقويتها وتنميتها وتنويعها حتى أصبح الناس فى البيئات المتحضرة لا يعرفون كيف يستقبلون الصباح ولا كيف يستقبلون المساء من كل يوم إذا لم يجدوا صحيفة من الصحف تحقق لهم الصلة اليومية بينهم وبين الذين يشاركونهم فى الوطن والمصالح، أو بينهم وبين الذين يشاركونهم فى الحياة الإنسانية بوجه عام .

ويقال إن الرومان قد سبقوا إلى إنشاء الصحافة حين جعلوا فى بعض أطوار حياتهم ينشرون أنباء الأعمال اليومية لحكومتهم فى لوحات تعلق فى بعض الأماكن ويقرؤها الناس، وربما نقلوا صورا منها ليقرؤها حين يخلون إلى أنفسهم فى تمهل وتروية ولتقرأها بعض السيدات اللاتى لا يستحببن السعى إلى حيث تعلق الأنباء .

ويقال كذلك إن القرون الوسطى نفسها فى أوروبا لم تهمل العناية بإعلان الأنباء على نحو من الأنحاء ليعرفها الناس فى بعض المدن الكبرى، ثم تعرف المطبعة ذات يوم ولا تكاد تشيع حتى تستغل فى إذاعة الأنباء. وإذا الصحف لا تعلق مخطوطة ليزدحم الناس على قراءتها، وإنما تنشر مطبوعة ليستبق الناس إلى شرائها وقراءتها ، والمشاركة فى تحريرها حين أتاحت لهم حظوظهم من الثقافة هذه المشاركة . وإذا الصحافة مؤثر خطير فى تقوية الحضارة وتحقيق الصلة بين المتباعدين من أهل المدينة الواحدة ومن أهل الوطن الواحد ومن أهل الأقطار المتحضرة فى أطراف الأرض .بل هى مؤثر خطير أيضا فى تحقيق الصلة بين العالم المتحضر والأقطار التى لم تصل إليها الحضارة بعد .

وما تزال الصحافة تؤثر فى تقوية الحضارة وتتأثر بقوتها على مر الزمن حتى تصبح ضرورة من ضرورات الحياة العامة لا يجد الناس إلى الإنصراف عنها سبيلا . ومن الطبيعى أن تتنافس البلاد الأوروبية فى ادعاء السبق إلى ابتكار هذا المؤثر الخطير فى حضارة العصر فيزعم كل بلد من بلاد أوروبا الغربية أن له السبق فى إنشاء الصحف وأن البلاد الأخرى قد قلدته وأخذت عنه . وواضح أن الشرق لا يشارك فى هذه المنافسة فهو لم يعرف المطبعة ولم يعرف الصحافة إلا بأخرة حين اتصلت الأسباب بينه وبين العالم الغربى فى أواخر القرن الثامن عشر . وهو لم يعن بالصحافة عناية ذات بال ولم يجعلها وسيلة من وسائل حياته العامة إلا بعد أن تقدم القرن التاسع عشر حتى بلغ ثلثيه أو كاد يبلغهما . ومع ذلك فالشرق العربى على قصر عهده بالصحافة قد أقبل عليها أشد الإقبال، وعنى بها أعظم العناية وجعلها فى هذا القرن الذى يعيش فيه ضرورة من ضرورات حياته

تقوم عليها شئونه السياسية والاجتماعية ، وقل إن شئت إن رقيه فى الحضارة بوجه عام لا سبيل إليه إلا إذا شاركت فيه الصحافة وأعانت عليه .

فليس غربيا أن يفتن الشباب بالصحافة ويغرى بالمشاركة فى تحريرها على أى نحو من الأنحاء .

وليس غريبا أن يفتن الأستاذ جلال الحمامصى فى آخر عهده بالصبا، وأول عهده بالشباب بأن يسهم فى تحرير الصحف، وأن يكون له نوع من المشاركة فى هذا العمل الخطير الذى يرى الناس من حوله يتهالكون على الانتفاع به، ويقبلون على قراءته مصبحين وممسين، كما يقبلون على ما يقيم الحياة من الطعام والشراب، وما يشبههما من مقومات الحياة المادية والعقلية جميعاً .

فهو كان تلميذاً فى المدارس الثانوية لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره حين أحس الكلف بالصحافة والطموح إلى أن يكون صحفيا وحين قوى فى نفسه هذا الإحساس حتى سيطر عليه ، واستأثر بعقله وقلبه . ودفعه إلى ابتغاء الوسائل إلى الصحف لينشر فيها ما كان يحاول انشاءه من القصص. وقد كان هذا الإحساس أقوى من رغبته ورغبة أسرته فى أن يطلب العلم حتى يظفر بإجازاته، ولكنه على ذلك اضطر إلى أن يلائم بين طلب الصحافة وطلب العلم حتى ظفر بما كان يريد لنفسه، وبما كانت تريد له أسرته من الإجازات الجامعية ومن المشاركة فى تحرير الصحف، بل من النُجْح والتوفيق فى هذه المشاركة حتى قصر عليها جهوده كلها، وأصبح صحفيا بارعا ممتازاً تتنافس فيه الصحف ، ويعرف له زملاؤه وقراؤه مكانته فى هذا الفن الخطير .

وهو قد أنفق فى الصحافة ربع قرن، وتعرض أثناء ما أنفق فيها من وقت وجهد لتجارب كثيرة مختلفة منها ما أحب ومنها ما كره . وهو قد انتفع بهذه التجارب على كثرتها واختلافها ، ولكنه لم يرد أن يؤثر نفسه بها ولا بمنافعها وإنما أراد أن يهديها إلى هؤلاء الشباب الكثيرين الذين يتهافتون على الصحافة تهافت الفراش على النار. والذين سيقرءون هذا الكتاب سينتهون من قراءته إلا أن تشبيه الصحافة بالنار لا مبالغة فيه ولا إسراف.

فالصحافة نار مضطرمة لا يقدر على أن يصلى بها إلا الذين يهيئون لها أنفسهم، ويسلكون إليها سبيلها، ويعرفون كيف يصلونها دون أن تحرقهم أو تحيلهم رماداً لا يغنون عن أنفسهم ولا عن غيرهم شيئاً . فليست هى من اليسر بحيث يظن الشباب الطامحون إليها المتهافتون عليها وإنما هى فن من أعسر الفنون التى ينبغى أن يتهيأ له الآخذون فيه كأحسن ما يكون التهيؤ . والشاب الذى يريد ان يكون صحفيا لن يكفيه أن يقرأ الصحف ويحاول تقليد ما ينشر فيها . ولن يكفيه أن يسمع ما يلقى من الدروس الكثيرة القيمة فى معهد الصحافة أو فى قسم الصحافة كما يقال الآن، بل يجب أن يتعلم هذا الفن فى موطنه، ويبدأ من حيث يجب الابتداء فيختلف إلى دار صحفية من الصحف بالضبط كما يختلف إلى معهد الصحافة أو قسمها، ويقضى فى هذه الدار بياض يومه أو سواد ليله أو كليهما أحيانا لا ليسمع فحسب ولا ليكتب، ولكن ليرى ويسمع ويسعى فيما يكلف إليه، ويعمل ما يكلف عمله، ويكتب آخر الأمر بعد الجهد الطويل، والعناء الثقيل، والصبر على المكاره التى لا يطيق أكثرها إلا الأقوياء المصممون .

وهذا الكتاب الصغير فى حجمه الكبير فى قيمته ونفعه ، كتاب لا يستغنى عنه شاب من هؤلاء الذين يريدون أن يقفوا حياتهم على الصحافة، بل يجب أن يقرأه ويقرأه ويفهمه أدق الفهم، ويسأل عن بعض مشكلاته إن عرضت له المشكلات أثناء قراءته ، لا يسأل أستاذه الجامعى فلا يحسن أستاذه الجامعى أن يحل له ما يتعقد من هذه المشكلات ، وإنما يسأل عنه الذين يصلون نار الصحافة ويصلونها منذ زمن طويل من أمثال الأستاذ مؤلف هذا الكتاب .

هذه هى سبيله إلى النُجح دون أن يمنعه ذلك من أن يطلب العلم، ويظفر بإجازاته ما استطاع إلى ذلك سبيلا . فالصحافة علم وعمل ، وهى علم بالحياة أولا، وبحقائقها ودقائقها، وأسرارها، ومشكلاتها، وتهيؤ لاستقبال الأحداث، وتعمقها، وفقه أسبابها ونتائجها .

ومؤلف الكتاب يمهد للشباب سبيل هذا كله ، وأنا مع ذلك أرى أن هذا الكتاب ليس إلا مدخلا إلى كتاب آخر يجب أن يكتبه الأستاذ جلال الحمامصى ، فهو لم يعرض فى كتابه هذا إلا الناحية الفنية الخالصة فى إعداد الصحيفة وإصدارها . وهناك أشياء ليست أقل خطراً من هذه الناحية العملية والناحية الإخبارية اللتين عرض لهما المؤلف . فليست الصحيفة أخباراً وتعليقاً على الأخبار وإعلانا وتنظيما للإعلان فحسب ولا ينبغى أن تكون الصحيفة كذلك ، وإنما الصحيفة شىء آخر إلى جانب الأخبار والإعلان . هى مصدر من مصادر الثقافة الشعبية أيضًا. والثقافة على اختلاف فروعها فى حياة الناس الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، والعقلية، والشعورية أيضا . وهذا كله يحتاج إلى درس ويحتاج إلى كتاب أضخم حجما من هذا الكتاب الذى وفق فيه المؤلف أحسن التوفيق ، وما زلت أنتظر منه جزأه الثانى، وأرجو أن يوفق فيه كما وفق فى جزئه الأول ، وهو مشكور أجمل الشكر على إيثاره للشباب بتجاربه ومنافعها، وما بذل فى ذلك من جهد وما نال فى ذلك من نُجْح .

طه حسين